ذلك، نورد ملامح تأثير بدأ يأخذ دوره وفعله بين الجنود العاملين في المناطق المحتلة. فخلال زيارة قام بها رئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، للوحدات العاملة قرب نابلس، واجه شامير انتقادات بالغة القسوة من قبل الجنود، عكست بوادر ازمة بين صفوفهم، وخصوصاً المجندين الصغار منهم الذين لا يجدون في عمليات القتل والقمع التي يمارسونها ضد الاطفال خصوصاً، والمواطنين الفلسطينيين عموماً، مبرّرات كافية. لقد كان الجنود الاميركيون أول من تحرّك ضد استمرار الحرب في فيتنام؛ فهل تكون هذه نقطة البداية في مسيرة مماثلة في تاريخ الاحتلال الاسرائيلي ؟

واشنطن ـ تل أبيب؛ تغيير اجباري

من الطبيعي، في ظل المعطيات الاقليمية والدولية الراهنة، ان تضع الادارة الاميركية الحركة الدبلوماسية الاسرائيلية الراهنة، والمنتظرة، في عملية اختبار دقيقة ومعقّدة، لاستكمال تقريب وجهات النظر بين أطراف الصراع في المنطقة، والتعرّف على الحدود القصوى التي يمكن فيها لاسرائيل ان تسهم في تمرير سياسات واشنطن، مقابل احجام الاخيرة عن ممارسة أي ضغط، ومن أي مستوى كان، على اسرائيل، مع انه لا يبدو، في الظروف الراهنة، أن النيّة قد توفّرت لدى واشنطن لفرض تنازلات على اسرائيل. وقد أشار مصدر اسرائيلي الى ذلك بوضوح، مبدداً أية أوهام في هذا الاتجاه، فأكد ان واشنطن لا تزال تفضل التعاون مع اسرائيل أولاً، ومن ثمّ مع العرب، قبل ان تدعو الاتحاد السوفياتي الى الالتحاق بعملية السلام في الشرق الاوسط. أي انها سوف تعمل على ترتيب الوضع، أولاً، مع حكومة شامير، على أساس من الجوامع المشتركة بين موقفيهما، قبل ان تنتقل الى البحث في صيغ مشاركة الآخرين، وحجم وطبيعة هذه المشاركة. وحسب المؤشرات الاولى لسياسة الادارة الاميركية الجديدة، فمن غير المتوقع ان تلجأ واشنطن الى اتخاذ مواقف سريعة؛ فالأمر، كما في كل القرارات الدولية، يتطلب وقتاً كافياً لاجراء أي تغيير، خصوصاً في القضايا ذات الطابع الاستراتيجي. وبناء عليه، لن يتصرّف الرئيس الاميركي، جورج بوش، بحدة في المسائل المتعلقة بالصراع في الشرق الاوسط. صحيح انه لن يتبع سياسة سلفه، مكرراً مقولاته، جاعلاً من سياسة البيت الابيض نسخة «ريغانية» مكررة، بل سوف يترك، في كل مرحلة، وازاء كل قضية، بصمات «بوشيّة» خاصة دون شك، حتى وان احتفظ بجوهر سياسة الادارة الاميركية السابقة. واذا كان الامر كذلك، فمن نافل القول ان تجد وزارة الخارجية، التي يتزعمها جيمس بيكر، طريقها عبر هوامش مميّزة عن حركة الوزارة السابقة، بزعامة جورج شولتس، حيث تتعاطى الادارة الجديدة مع معطيات جديدة تتطلب تغييرات، مهما كانت حدود هذه التغييرات. غير ان للموقف الاميركي ثوابته التي ظلت تمثّل جوهر الحركة العامة للولايات المتحدة الاميركية تجاه المسألة التي نحن بصددها. فقد حافظ الموقف الاميركي على مبادىء معيّنة طيلة السنوات العشرين الماضية. فمنذ عهد ليندون جونسون، الى خطة وليام روجرز العام ١٩٦٩، الى سياسة نيكسون ـ كيسنجر خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، الى سياسة جيمي كارتر خلال عملية السلام المصرية ـ الاسرائيلية (مرحلة كامب ديفيد)، الى خطة رونالد ريغان العام ١٩٨٢، ومبادرة شولتس العام ١٩٨٧، كانت «سياسة مبادلة اسرائيل الارض بالسلام» هي الجامع المشترك فيما بين الادارات الاميركية المختلفة، على الرغم من تفاوت حجم الارض، وحجم السلام أيضاً، والثمن الذي تطلبه كل من هذه الادارات. وبناء عليه، ليس متوقعاً خروج ادارة بوش عن المعادلة الاميركية العامة، وهذا ما يفسّر تأكيد مراقبين ان المرحلة المقبلة سوف تشهد متغيرات كثيرة في السياسة الاميركية تجاه اسرائيل، لكنها متغيرات قد تستغرق سنوات ولا تمسّ جوهر العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية، أو تلغي المبادىء التي اعتمدتها الادارات السابقة. لكنها، من